

فجأة : قد اغتبط ، ويقال للذبيح : أعبط أم عارضة . قال : والعبط : الذى
يُنْحَر أو يُذْبَح من غير علة . والعارضة : أن يذبح من مرض ، ومنه قول أمية :
من لم يمت عبطة يمت هرما للموت كاس والمرء ذائقها
وقوله أضدع أى أشق . والقينة : الأمة مُغْنِيَةٌ كانت أو غير مُغْنِيَةٍ . وقوله :
شمصها ، قال ويروى : شَمَصَها وشَمَّسَها وهما واحد والسين أجود ، ويروى : نَفَرها
القنا . وقوله : * وعادية سوم الجراد وزعتها * قال : والعادة : القوم يَعْدُونَ .
وسوم الجراد : انتشاره فى المرعى ، كما قال العجاج :

* سوم الجراد الشد يرتاد الخضر *

وقوله : وزعتها أى كففتها ، والوازع : الكاف المانع ، ويروى أن الحسن
رحمه الله تعالى لما ولي القضاء قال : لأبد للسلطان من وزعة . وقوله : وقد أنحوا
إلى العوالي . أنحوا : أمالوا وقصدوا بها . والعالية من الرمح : أعلاه وهو ما دون السنان
بذراع . وقوله : لخيلى كرى نفسى ، قال ويروى : قاتلى . وقوله : ولم أسبأ
الزق ، السبأ : اشتراء الخمر .

[قصة مالك بن الرب الشاعر وصحبه سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان وقصيده التى قالها وهو مريض بذكر مرضه وغرته]

قال أبو على : وقرأت قصيدة مالك بن الرب التى أولها : * ألا ليت شعرى
هل أبيتن ليلة * على أبى بكر بن دريد ولها خبر أنا ذاكره ، قال قال أبو عبيدة :
لما ولي أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله تعالى
عنهم خراسان ، سار فيمن معه فأخذ طريق فارس ؛ فلقيه بها مالك بن الرب بن
حوط . بن قرط . بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن
عمرو بن تميم ، وأمه شهلة بنت سنيح بن الحر بن ربيعة بن كابية بن حرقوص
ابن مازن . قال : وكان مالك بن الرب فيما ذكر من أجمل العرب جمالا وأبينهم
بيانا ، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال أبو الحسن المدائنى : بل مر به سعيد بالبادية
وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولّاه معاوية خراسان ومالك فى نفر من أصحابه ،
فقال له : ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما يبلُغنى عنك من العداء وقطع الطريق ؟

قال : أصلح الله الأمير ، العجزُ عن مكافأة الإخوان . قال : فإن أنا أغْنَيْتُكَ واستصحبتك
 أَتَكْفُ عَمَّا تَفْعَلُ وتتبعني ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، أَكْفُ كَأَحْسَنِ مَا كَفُ
 أَحَدٌ ، فاستصحبته وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر ، وكان معه حتى قُتِلَ
 بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك ، فقال يَذْكُرُ مَرَضَهُ وَغُرْبَتَهُ .
 وقال بعضهم : بل مات في غَزْوِ سَعِيدٍ ، طُعِنَ فَسَقَطَ . وهو بآخر رَمَقٍ ، وقال آخرون :
 بل مات في خان ، فَرِثَتْهُ الْجَانُّ لِمَا رَأَتْ مِنْ غُرْبَتِهِ وَوَحْدَتِهِ ، وَوَضَعَتْ الْجَنُّ الصَّحِيفَةَ
 الَّتِي فِيهَا الْقَصِيدَةُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ ، وَهِيَ هَذِهِ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنُ لَيْلَةً بِجَنْبِ الْغَضَى أَرْجِي الْقِلَاصَ النَّوَاجِيَا
 فَلَيْتَ الْغَضَى لَمْ يَقْطَعْ الرَّكْبُ عَرْضَهُ وَلَيْتَ الْغَضَى مَا شَى الرَّكَّابَ لِيَالِيَا
 لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَى لَوْدُنَا الْغَضَى مَزَارٌ وَلَكِنَّ الْغَضَى لَيْسَ دَانِيَا
 أَلَمْ تَرْنِي بَغْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
 وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَادِي بَعْدَ مَا أَرَانِي عَنْ أَرْضِ الْأَعَادِي^(١) قَاصِيَا
 دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبَتِي بِدَى الطَّبَسِينَ فَالْتَفَتُ وَرَائِيَا
 أَجَبْتُ الْهُوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ تَقَنَّعْتُ مِنْهَا أَنَّ الْأَمَّ رِدَائِيَا
 أَقُولُ وَقَدْ حَالَتْ قُرَى الْكُرْدِ بَيْنَنَا جَزَى اللَّهُ عَمْرًا خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا
 إِنْ اللَّهُ يَرْجِعْنِي مِنَ الْغَزْوِ لَا أَرَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي طَالِبَا مَا وَرَائِيَا
 تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ طُولَ رِحْلَتِي سِفَارُكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَا لِيَا
 لَعَمْرِي لَنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِ خُرَاسَانَ نَائِيَا
 فَإِنْ أَنْجُ مِنْ بَابِ خُرَاسَانَ لَا أَعُدُّ إِلَيْهَا وَإِنْ مَنَيْتُمُونِي الْأَمَانِيَا

(١) الأعادي : الياء تشديدا فيه وفي الذي بعده لاقامة الوزن . التشديد هو الأصل في الكلمة لأنها جمع

أعداء : وجمع أفعال أفاعيل .

فله دَرى يوم أَتْرُكُ طائعا
 ودرُ الطَّبَّاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً
 ودرُ كَبِيرَى اللَّذِينَ كِلَاهُمَا
 ودرُ الرِّجَالِ الشَّاهِدِينَ تَفْتِكِي
 ودرُ الهوى من حيث يدعو صحابتي
 تَذَكَّرْتُ من يَبْكِي عَلَى فلم أَجد
 وَأَشَقَرَ مَحْبُوكَا يَجُرُّ عِزَّاهُ
 ولكن بِأَكْنَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةُ
 صَرِيعٌ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرة
 وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيتِي
 أَقول لَأَصْحَابِي ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ
 فِيا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا الموتُ فَاَنْزِلَا
 أَقِمْ عَلَى اليَوْمِ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ
 وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِي فَهَيْثَا
 وَخُطَّاءَ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي
 وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا
 خُذَانِي فَجُرَّانِي بِثَوْبِي إِلَيْكُمَا
 وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافَا إِذَا الْخَيْلُ أَذْبَرَتْ
 وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارَا عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَغَى
 فَظُورًا تَرَانِي فِي طِلَالٍ وَنَعَمَةٍ
 وَيَوْمًا تَرَانِي فِي رَحَا مُسْتَدِيرَةٍ
 وَقُومَا عَلَى بئرِ السُّمَيْنَةِ أَسْبَعَا
 بَنِي بَاعَلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
 يُخْبِرُنِ أَنِّي هَالِكٌ مَنْ وَرَائِيَا
 عَلَى شَفِيقٍ نَاصِحٍ لَوْ نَهَانِيَا
 بِأَمْرِي أَلَا يَقْصُرُوا مِنْ وَثَاقِيَا
 ودرُ لَجَاجَاتِي ودرُ انْتِهَائِيَا
 سَوَى السِّيفِ وَالرُّمَحِ الرُّدْنِيِّ بَاكِيا
 إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
 عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةُ مَابِيَا
 يُسَوُّونَ لَحْدِي حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا
 وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
 يَقْرُ بِعَيْنِي إِنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا
 بِرَابِيَةِ إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا
 وَلَا تُعْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ شَانِيَا
 لِي السُّدْرَ وَالْأَكْفَانَ عِنْدَ فَنَائِيَا
 وَرُدَّا عَلَى عَيْنِي فَضْلَ رَدَائِيَا
 مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا
 فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
 سَرِيعًا لَدَى الْهَيْجَا إِلَى مِنْ دَعَانِيَا
 وَعَنْ شَمْسِي ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَأَنِيَا
 وَظُورًا تَرَانِي وَالْعِتَاقَ رِكَابِيَا
 تُخَرِّقُ أَطْرَافُ الرَّمَاكِ ثِيَابِيَا
 بِهَا الْغُرَّ وَالْبَيْضَ الْحَسَنَ الرَّوَانِيَا

بأنكما خلفتُماني بقفـرة
ولا تنسِيا عهدي خليلي بعدما
ولن^(١) يعدم الوالون بشا يصيبهم
يتمولون لا تبعدوهم يدفنوني
غداة غد يا أنهف نفسي على غد
وأصبح مالي من طريف وناليد
فياليت شعري هل تغيرت الرحا
إذا الحي حلوها جميعا وأنزلوا
رعين وقد كاد الظلام يجنها
وهل أترك العيس العوالي بالضحي
إذا عصب الركبان بين عنيزة
فياليت شعري هل بكت أم مالك
إذا مت فاعتادي القبور وسلمي
على جدث قد جرت الريح فوقه
رهينة أحجار وترب تضمنت
فيا صاحبا إما عرضت فبلغا
وعر قلوصي في الركاب فإنها
وأبصرت نار المازنيات موهندا
بعود النجوج^(٢) أضاء وقودها
غريب بعيد الدار ثاو بقفـرة
أقلب طرفي حول رخلي فلا أرى

تهيل على الريح فيها السوافيا
تقطع أوصالي وتبني عظاميـا
ولن يعدم الميراث مني المواليا
وأين مكان البعد إلا مكانيا
إذا أدلجوا عني وأصبحت ثاويا
لغيري وكان المال بالأمس ماليا
رحا المثل أو أمست بفلج كما هيا
بها بقرا حم العيون سواجيا
يسفن الخزامى مرة والأقاحيا
بركبانها تعلو المتان الفيافيا
وبولان عاجوا المبقيات النواجيا
كما كنت لو عالوا نعيك باكيا
على الرمس، أسقيت السحاب الغواديا
ترابا كسحق المرنباني هابيا
قرارتها مني العظام البواليا
بني مازن والرب أن لا تلاقيا
ستفلق أكبادا وتبكي بواكيا
بعلياء يثنى دونها الطرف رانيا
مها في ظلال السدر حورا جوازيا
يد الدهر معروفا بأن لا تدانيا
به من عيون المؤمنين مراعيـا

(١) في معجم ياقوت بدل هذا الشطر : ولن يعدم الوالون بيتا يجنني .

(٢) الانجوج واليلنجوج : عود الطيب يتبخر به .

وبالرَّمْلِ مِنَّا نِسْوةٌ لو شَهِدْنِي بِكَيْنٍ وفَدَيْنِ الطَّبِيبَ المَدَاوِيسَا
وما كان عهد الرَّمْلِ عندى وأَهْلِهِ ذَمِيًّا ولا ودَّعْتُ بالرَّمْلِ قَالِيًّا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي وابْنَتَايَ وخَالَتِي وبَاكِئَةٌ أُخْرَى تَهِيجُ البـواكِيا
قال أبو على : قوله بجانب الغضى ، الغضى : شجر ينبت فى الرمل ولا يكون
غضى إلا فى الرمل . وأزجى : أسوق ، يقال : أزجاء يُزجيه إزجاء وزجاء يُزجيه
تزجية . والنواجى : السراع وقوله :

* فَلَيْتَ الغَضَى لم يقطع الرُّكْبُ عَرْضَه *

قال يقول : ليته طال عليهم الاستيرواح إليه والشوق . والركاب : الإبل ،
وجمعها ركائب . وقال :

تقول وقد قَرَّبْتُ كُورِي وناقِي إِلَيْكَ فلا تُذْعِرْ عَلَى رِكَابِيَا

وقوله : * وليت الغضى ماشى الركاب لياليا * أى ليته طاولهم . وقوله : * لقد
كان فى أهل الغضى لو دنا الغضى * مزار ، يقول : لو دَنَوْا قَدَرْنَا أَنْ نَزُورَهُمْ ، ولكن
الغضى ليس يدنو ، وهذا على التلهف والتشوق . وقوله : ألم تَرَنِي بِعْتُ الضَّلالة
بالهدى * وأصبحت فى جيش ابن عفان... يعنى سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ،
يقول : بعث ما كنت فيه من الفتك والضلالة بأن صرت فى جيش ابن عفان . وأود :
موضع . والطَّبَسَان : بخراسان أو قريبا منها ، يقول ، دعانى هواى وتشوقى من ذلك
الموضع وأصحابى بموضع آخر . وقوله : تَقَنَّعْتُ منها ، معناه لما ذكرت ذلك الموضع
أَسْتَعْبَرْتُ فاستحييت فتقنعت بردائى لكى لا يُرَى ذلك منى ، كما قال الشاعر :

فكائِنُ تَرَى فى القوم من مُتَقَنَّعٍ على عِبْرَةٍ كادت بها العين تَسْفَحُ

وقوله : إن الله يَرْجِعْنِي ... البيت ، يريد : لا أسافر وأقيم وأقنع بما عندى .
وقوله : لا أبأ ليا ، تقول العرب : قُمْ لا أَبَ لك ولا أبالك على توهم الإضافة ،
كما قال الشاعر :

* يا بُؤْسَ للجهل ضَرَّارًا لَأَقْوام *